الملخص

يعد الرازي من علماء الاشاعرة الذين وضعوا بصمة واضحة في الدراسات العقائدية باستخدامه الأدلة العقلية والمنطقية بشكل واسع في كتبه ولكنه لم يكن يحيد عن مبادئ العقيدة الاسلامية التي جاء بها النص وقد قاده ذلك إلى التوازن في كتاباته خاصة الاخيرة منها كالتفسير الكبير، فنراه يختلف مثلاً عن المحصل والمباحث المشرقية بمصطلحاته النقلية المتمثلة بالكتاب والسنة في فهم اصول الدين بعد أن كانت مصطلحاته عقلية اكثر منها نقلية أول الأمر.

Al-Razi and his position of science and transitions

Study of some of his books

Ma'alim Salam Younus Al-Mashhadani

Abstract

Al-Razi is one of the pioneering scientists who left a huge mark in conducting doctrinal studies using logical and reasonable evidence, while not straying far from the Quran and Hadith texts. His methods were balanced, as shown in his latest bodies of work, such as "Al-Tafseer Al-Kabir", which is a contrast to his first works where he used more rational approach than his recent quotation approach.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه الكرام اجمعين

يعد الرازي من اهم علماء الكلام الذين تميزوا بأسلوبهم العقلي النقلي، والذي كان واضحاً في كتاباته فأردنا القاء الضوء على منهجه من خلال اختيار بعض كتبه المشهورة ككتاب المباحث المشرقية ومحصل علوم المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والعلماء والمتكلمين وتفسيره الكبير من اجل بيان هذا المنهج وتوضيح موقفه من النقل والعقل، ولقد قسمنا البحث إلى مطالب، الاول بعد التمهيد كان عن التعريف بالإمام الرازي ومكانته العلمية والثاني مؤلفاته والمطلب الثالث بيان منهجيته بصورة عامة وموقفه من النقل والعقل في كتبه السالفة الذكر، ولقد واجهتنا صعوبة في مصطلحات الرازي العقلية الفلسفية واللغة التي الف بها كتبه فقد كانت مناسبة لعهد اتسم بكون الفلسفة والمنطق من ادوات المعرفة والعلوم. ومصادرنا كانت نفس كتبه وما كتب عنها من قبل الباحثين. ولا ندعي الاجادة ولكنه جهد المقل نرجو به الثواب من الله تعالى والله الموفق إلى سبيل الرشاد.

تمهيد:

في القرن السادس الهجري اتجهت المدرسة الكلامية الاشعرية اتجاهاً عقلياً واضحاً واتخذ المتأخرون من أكابر علمائها من المنطق الأرسطي وسيلة لدعم المذهب فحدث خلط بين الفلسفة وعلم الكلام لكن لهذا الخلط ما يبرره، فقد كان علم الأوائل مقصوراً على الذات والصفات والنبوات والسمعيات، فلما احدثت طوائف المبتدعة كثر جدالهم مع علماء الإسلام وأوردوا شبهاً على ما قرره الأوائل، وخلطوا تلك الشبه بكثير من قواعد الفلاسفة. ليستروا ضلالهم، فقام علماء الإسلام المتأخرون كالرازي رحمه الله بدفع تلك الشبه وتفنيدها، وهدم تلك القواعد واضطروا لإدراجها في كتبهم لأجل أن يتمكنوا من الرد عليهم. فهؤلاء العلماء الأفذاذ لا اعتراض عليهم لأنهم إنما فعلوا ذلك

ليتمكنوا من الرد على المخالفين من أهل البدع وكان ذلك الفعل منهم هو المناسب في ذلك الزمان[١].

إذن طبيعة المرحلة اقتضت أن تكون الردود بل الحوارات مع هؤلاء الفلاسفة بلغة عصرهم التي كانت الفلسفة في ذلك الحين. ومخاطبتهم بما يفهمون من قواعد وأساليب عقلية وفلسفية قال عليه الصلاة والسلام (إنا معاشر الأنبياء كذلك أمرنا أن نكلم الناس بقدر عقولهم)[٢]، كان هذا المزج بين الفلسفة وبراهينها العقلية مع علم الكلام السني كان حدثاً طبيعياً، اقتضته الحركة الفكرية الإسلامية في داخل المجتمع المسلم، مع خصومه الخارجين وشجعت عليه النظرة القرآنية ودورها في التفكر للوصول إلى الحقيقة[٣].

يقول الدكتور عبدالحميد مدكور:(إن فكرة تقديم العقل على النقل هي فكرة فلسفية في الأساس أول من قال بها في المحيط الإسلامي هو الفارابي ثم ابن سينا بحيث تم اخضاع النصوص الشرعية للتأويل الذي بدوره يؤدي إلى انكار ظواهرها في مواطن كثيرة. ثم سرت هذه الفكرة الخطيرة في مجال الفلسفة إلى مجال علم الكلام عند المتأخرين خاصة الامام الرازي) [٤]،إذ قال (أنه يمكن أن يقع تعارض بين العقل والنقل ولابد عندئذ من تقديم العقل على النقل لان العقل هو أساس قبول الشرع، وإن تقديم الشرع أو النقل عليه يؤدي إلى الطعن في العقل وفي الشرع جميعاً)[٥]، ولقد تضاءل تبعاً لذلك دور النصوص الشرعية في نصرة العقيدة عند علماء الكلام، مع أن النصوص الشرعية هي الأساس والأصل في هذا الشأن والحقيقة أن النصوص يجب أن

---

(١) ينظر: مناهج التصنيف في الفلسفة الإسلامية، عصام الدين الزفتاوي، رسالة ماجستير باشراف د. عبد الحميد عبد المنعم مدكور، سنة (١٤٠٣هـ-٢٠٠٩م)، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم الفلسفة الاسلامية، ص٣٢٠.

(٢) من حديث خيثمة بن سليمان القريشي ت: ٣٤٣هـ، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري دار الكتاب العربي- لبنان، سنة ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م، ص٧٥ والنص (إنا معاشر الأنبياء كذلك أمرنا أن نكلم الناس بقدر عقولهم).

(٣) ينظر: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط سنة (٢٠٠٠م)، ص٤٧- ٤٨.

(٤)في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر، د. عبدالحميد مدكور، دار الهاني للطباعة والنشر (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، مصر، ص٨٣-٨٥.

(٥) اساس التقديس في علم الكلام، لفخر الدين الرازي تحقيق: احمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، لسنة (١٩٨٦م)، ج١، ص١٣٠.

تكون الأصل والمصدر والأساس في الإثبات والدفاع عن العقيدة الإسلامية ومبادئها ومفاهيمها لا مجرد ظلال للتصورات الفكرية التي تقرر سلفاً ثم تبرهن بالنصوص[١].

وعلى كل حال لا نشك بأن نوايا الإمام الرازي وهو من علماء الأمة الأفاضل كانت الذود عن العقيدة الإسلامية والدفاع عنها في زمن سادت فيه لغة الفلسفة، وأصبحت مقياساً أو معياراً للحق عند الطبقات المتعلمة التي كانت مقصودة في الردود، التي قصدها هؤلاء الأفاضل إذ إنَّ معاهد الفكر العالمي آنذاك متمثلة في بغداد وحواضر العالم الإسلامي والبلدان المفتوحة كانت تعتمدها بل والمعادية من الدول والحضارات القديمة كانت منها من لا تعترف بالدين الإسلامي ولا بكتابه ونصوصه، وكان اتخاذ العقل والفلسفة والمنطق هو الطريق الوحيد لتفنيد معتقداتها وبرهنه المعتقدات الإسلامية.

يقول الدكتور محمد جلال شرف: إذا كانت فكرة الواجب والممكن والوجود والماهية والصورة والهيولي هي الأساس الأول الذي بنى عليه فلاسفة الإسلام المشاؤون نظريتهم المختلفة المتصلة بمسألة العالم وقدمهُ والنفس وخلودها، وواجب الوجود وعلمهُ للكليات، فإن نظرية الجوهر الفرد أو مذهب الذرة، أو فكرة الجزء الذي لا يتجزأ هي أساس المشكلات الطبيعية والإلهية عند متكلمي الإسلام، فإن المتكلمين يفخرون بشيء إنما يفخرون بإبداعهم لهذه النظرية، فإن متكلمي الإسلام استطاعوا استغلال هذه المذاهب الفلسفية للبرهنة على كثير من المشكلات الكلامية كالبرهنة على حدوث العالم الذي يؤكد وجود خالق وصانع له، وكذلك علم الله وقدرته الشاملة لكل شيء، وكذلك مسألة حشر الأجساد وإعادة الجسم الإنساني يوم البعث ويكفي هذا فرقاً أساسياً بين فلاسفة اليونان الدهريين الجاحدين للصانع المنكرين لخلق العالم القائلين بأبديته وانه لا ثواب ولا عقاب، وبين متكلمي الإسلام الذين برعوا في استخدام هذا المذهب الذري بما يتماشى مع عقيدة أهل السنة والجماعة)[٢].

ولقد ورد عن ابن خلدون انه في معرض حديثه عن العلاقة بين علم الكلام والفلسفة الطبيعية قال: (ان علماء الكلام وضعوا علم الكلام لنصرة العقائد الايمانية بالحجج العقلية وكانت طريقتهم بأدلة خاصة ذكروها في كتبهم كالدليل على حدوث

(١) ينظر: في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر، د. عبدالحميد مدكور، ص٨٣-٨٥.
(٢) الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي، د. محمد جلال شرف، دار النهضة العربية، بيروت، ص١٨١؛ وينظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلامي، د. علي سامي النشار، ص٦٢٥.

العالم بأثبات الاعراض وحدوثها وامتناع خلو الاجسام عنها، وما لا يخلوا عن الحوادث حادث، واثبات التوحيد بالتمانع، وغيرها من الادلة ثم مرروا تلك الادلة بتمهيد قواعد واصول هي كالمقدمات لها مثل اثبات الجوهر الفرد والزمن الفرد والخلاء وغيرها من قواعد بنو عليها ادلتهم الخاصة، ورأى الامام الاشعري والباقلاني بعده والاسفراييني ان الادلة منعكسة بمعنى انها اذا بطلت بطل مدلولها، ولهذا رأى الباقلاني انها بمثابة العقائد، والقدح فيها قدحٌ في العقائد لابتنائها عليها)[١].

من كل ذلك نعرف ماهية العلاقة بين الفلسفة الطبيعية وعلم الكلام فقد وجدوا ان ابطال ادلتهم يؤدي إلى بطلان مدلولاتها، لكن عندما جاء الامام الغزالي والمتأخرون من الاشاعرة قالوا: انه لا يلزم من بطلان الدليل بطلان المدلول وقضوا بان المنطق لا ينافي العقائد الايمانية حتى وان نافى بعض ادلتها[٢].

وفيما يلي من صفحات نبين واحداً من هم هؤلاء الأفذاذ وموقفه من العقل والنقل من خلال كتبه، لكن المسألة الأساسية في هذه المرحلة المتمثلة بالقرن السادس الهجري كانت النزوع إلى العقل واتخاذ الفلسفة والمنطق كوسيلة لبرهنة العقائد الإيمانية الإسلامية وكان النص على الرغم من أساسيته وأصليته في الأفكار والعقائد المطروحة إلا أنه لم يكن له دور كبير في البرهان على حقيقة هذه العقائد الإيمانية على اعتبار أنه أساس والعقل أساس أيضاً في برهانه لا على اعتبار إهماله، إن هذه النزعة العقلية لدى هؤلاء المتأخرين توصف بأنها اقتراب من مذهب الاعتزال، وفي الحقيقة من خلال اطلاعنا على بعض كتب هؤلاء لا نجد ان الاشاعرة اقتربوا من عقيدة المعتزلة في انكار الرؤيا ونفي الصفات وغيرها من المسائل الجوهرية التي تفرق بين الاشاعرة والمعتزلة كمذهبين لكن الاقتراب حدث من ناحية الوسائل في البرهنة على صحة اعتقاد كل طرف. نعم مال الاشاعرة إلى العقل كما كان المعتزلة يفعلون في براهينهم. لكنهم احتفظوا بجوهر عقائدهم الإيمانية، التي قامت عليها المدرسة في تقديم الشرع على العقل اما بالوسائل فمال المتأخرون إلى تقديم العقل على النقل كضرورة اقتضتها المرحلة التي سادت فيها المفاهيم العقلية والفلسفية في تلك الحقبة التاريخية. إذن

---

(١) مقدمة ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد بن محمد (ت ٨٠٨ه) ط٢، دار الفكر، بيروت، (١٩٨٨)، ج١، ص٦٤٧-٦٤٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ج١، ص٦٤٩.

فالأصول والأسس نصية والوسائل والأساليب أصبحت هنا عقلية أكثر منها نقلية عند المتأخرين من علماء الاشاعرة الأفاضل ومنهم الرازي رحمه الله. لكن عوداً حميداً إلى النص وبراهينه عاد على يديه ايضاً في تفسيره الكبير مبرهناً على ان علماء الكلام إنما ينزعون إلى الفلسفة ومصطلحاتها لبرهنة اصول الدين الاسلامي للمخالفين له، لا يمنعهم ذلك عن اتخاذ النقل كأكبر برهان على صدق النقل نفسه للموافقين من المؤمنين بالكتاب والسنة.

المطلب الأول
الإمام الرازي ومكانته العلمية

١- الامام الرازي

ولد الامام الرازي في العشرين من رمضان سنة ٥٤٤هـ وقيل ٥٤٣ هـ واسمهُ هو أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي فخر الدين الرازي مولداً، التيمي البكري نسباً، الشافعي مذهباً في الفقه، الأشعري المذهب في العقيدة، وكان يعرف بابن خطيب الري لأن والده كان خطيب مسجد الري، ثم خلفهُ هو في منصبهِ ذاك. توفي الإمام الرازي في سنة ٦٠٦هـ[١].

٢- مكانته العلمية

يعد الامام الرازي فريد عصره فقد فاق أهل زمانه في العلوم العقلية والنقلية خاصة الاصلين أصول الفقه وأصول الدين والمعقولات وعلم الأوائل وكان يقصد وتشد إليه الرحال من الأمصار. كان يحضر درسه أرباب المذاهب والمقالات ويسألونه وهو يجيب كل سائل بأحسن الأجوبة والمجادلات على اختلاف أصنافهم ومذاهبهم ويجيء إلى مجلسه الأكابر والأمراء والملوك وكان صاحب وقار، ورجع بسببه خلق كثير من

---

(١) تنظر: سيرة الإمام الرازي في: المختصر في أخبار البشر لابي الفداء بن شاهنشاه بن أيوب ط١، المطبعة الحسينية المصرية، ج٣، ص١١٢؛ وينظر: البداية والنهاية لابن كثير ط دار إحياء التراث العربي، ط١، (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م)، ج١٣، ص٦٧؛ وينظر: تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الإعلام لشمس الدين الذهبي، تحقيق: عبدالسلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ج٤٣، ص٢١٢؛ وينظر: طبقات الشافعية الكبرى تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، ط٢، دار هجر للطباعة والنشر، ، لسنة (١٤١٣ه)، تحقيق د. محمود الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو. ، ج٨، ص٨١؛ وينظر: وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان لابن خلكان، دار صادر بيروت، ط١، سنة (١٩٧١م)، ج٤، ص٢٤٨-٢٤٩؛ وينظر: العبر في أخبار من غبر لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٧ه) دار الكتب العلمية-بيروت، ج٢، ص١٤٢؛ وينظر: الوافي بالوفيات صلاح ايبك الصفدي (ت٧٦٤ه)، دار احياء التراث العربي، بيروت، (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، ج٤، ص١٧٥

الطائفة الكرامية [١]إلى مذهب أهل السنة وكان يلقب بمدينة هراة بشيخ الإسلام، كان يحسن الفارسية، وكان واعظاً بارعاً باللغتين العربية والفارسية[٢].

اجتمعت له خمسة أشياء قلما أنعم الله بها على الناس أولها سعة العبارة في القدرة على الكلام، وصحة البدن، والاطلاع، الذي لا مزيد عليه، والحافظة المستوعبة، والذاكرة التي تعينهُ على ما يريدهُ في تقرير الأدلة والبراهين[٣].

---

(١)اصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام١، وإنما عددناه من الصفاتية لأنه كان ممن يثبت الصفات إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه ينظر الملل والنحل للشهرستاني ج١،ص ١٠٨

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الإعلام لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ه) تحقيق: عبدالسلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، وكذلك طبعة المكتبة التوفيقية، ج٤٣، ص٢٢٣؛ وينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق: شعيب الارناؤوط، ط٣،دار الرسالة، ج٢١، ص٥٠؛ والبداية والنهاية لابن كثير، ط دار إحياء التراث العربي، ط١، (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م)، ج١٣، ص٦٧؛ وتاريخ مختصر الدول لابن العبري، دار الشروق بيروت، ط٣، (١٩٩٢)، ج١، ص٢٤٠؛ وينظر: الوافي بالوفيات لايبك الصفدي، ج٤، ص١٧٦؛ وينظر: وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان محمد بن ابراهيم لابن خلكان (ت ٦٨١ه) دار صادر، بيروت ط، (١٩٠٠)، ج٤، ص٢٤٩؛ وينظر: الاعلام للزركلي، ج٦، ص٣١٣-٣١٤.

(٣) الوافي بالوفيات للصفدي، ج٤، ص٢٤٨؛ وينظر: الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية لمحمد صالح الزركان دار الفكر، القاهرة، ١٩٦٣، ص٣٨ وهي في الأصل رسالة دكتوراه بإشراف: د. محمود قاسم.

المطلب الثاني

أهم مصنفاته

١-تفسير القرآن العظيم لم يكملهُ (مطبوع)

٢-مفاتيح العلوم تفسير سورة الفاتحة (مطبوع) وأما كتبه في علم الكلام فمنها:-

٣-المطالب العلية (مطبوع)

٤-نهاية العقول (مخطوط)

٥-كتاب الأربعين في اصول الدين (مطبوع)

٦-محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين (مطبوع)

٧-البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان (لم يصل الينا)

٨-المباحث العمادية في المطالب المعادية (لم يصل الينا)

٩-المنتخب (مخطوط)

١٠-المحصول في علم اصول الفقه (مطبوع)

١١-كتاب ارشاد النظار إلى لطائف الأسرار (لم يصل الينا)

١٢-الهدى في الفلسفة (لم يصل الينا)

١٣-حدوث العالم (مخطوط)

١٤-المعالم في اصول الفقه (مخطوط)

١٥-المعالم في اصول الدين (مطبوع)

١٦-شرح كتاب الإشارات لابن سينا (مطبوع)

١٧-عيون شرح الحكمة (لم يصل الينا)

١٨-السر المكتوم (لم يصل الينا)

١٩-شرح أسماء الله الحسنى وهو نفسه لوامع البينات (مطبوع)

٢٠-اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (مطبوع)

٢١-شرح كتاب الوجيز في الفقه للغزالي (لم يكمله ولم يصل الينا)

٢٢-شرح كتاب سقط الزند للمعري (مخطوط)

٢٣-اقسام الذات (مخطوط)

٢٤-مناقب الشافعي (مطبوع)

٢٥-الآيات البينات (مخطوط)

٢٦-أسرار التنزيل (مطبوع)

٢٧-المباحث المشرقية (مطبوع)

٢٨-نهاية الايجاز في دراية الاعجاز (مطبوع)

٢٩-أساس التقديس (مطبوع)

٣٠-تعجيز الفلاسفة (لم يصل الينا)

٣١-الخلق والبعث (مخطوط)

٣٢-القضاء والقدر (لم يصل الينا)

٣٣-الفراسة (مطبوع)

٣٤-النفس (مخطوط)

٣٥-النبوات(لم يصل الينا)

٣٦-كتاب الهندسة (لم يصل الينا)

٣٧-لباب الاشارات (مطبوع)

٣٨-المسائل الخمسين في أصول الكلام (مطبوع)

٣٩-عصمة الأنبياء (مطبوع)[١].

٤٠-الرسالة الكمالية في الحقائق الالهية مترجم من الفارسية (مخطوط)

(وقد نسب للرازي مؤلفات وصلت إلى المئة وثلاثة وتسعين مصنفاً لم يصح منها إلا ثلاثة وتسعين والمئة الباقية متوزعة بين المشكوك فيها والمنحول)[٢].

(١) تنظر هذه المصنفات في الوافي بالوفيات لابن خلكان، ج٤، ص٢٤٩؛ وينظر: البداية والنهاية لابن كثير، دار إحياء التراث العربي (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م)، ج١٣، ص٦٦؛ وينظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان ابو محمد الدين عبدالله بن اسعد بن علي لليافع(ت ٧٦٨ه) دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٧-١٩٩٧)، ، ج٣، ص٤٥؛ والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٦، ص١٦٣، ١٩٧؛ وشذرات الذهب في اخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (١٠٨٩ه) دار ابن كثير، بيروت، دمشق، ط١، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ج٥، ص٧٢؛ وينظر: الاعلام خير الدين للزركلي، دار العلم للملايين، ط٥، لسنة ٢٠٠٢، ج٦، ص٣١٣؛ والتفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي الناشر مكتب وهبة، القاهرة، ط٧، لسنة ٢٠٠٠م، ج١، ص٢٠٦.

(٢) الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية لمحمد صالح الزركان دار الفكر، القاهرة، (١٩٦٣). وهي في الأصل رسالة دكتوراه بإشراف: د. محمود قاسم ، ص٥٧.

المطلب الثالث

الامام الرازي وموقفه من النقل و العقل في كتبة

اولاً- محصل افكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين:

أ- يقول الرازي في معرض كتابه هذا (أما بعد فقد التمس مني جمعٌ من أفاضل العلماء واماثل الحكماء أن اصنف لهم مختصراً في علم الكلام مشتملاً على أحكام الأصول والقواعد دون التفاريع والزوائد فصنفت لهم هذا المختصر) [١]، مبيناً أن سبب تأليفه الكتاب هو طلبٌ من طُلابِ العلم وليس ترفاً فكرياً وأتباعاً وليس ابتداعاً في توضيح العلوم للمتعلمين موضحاً أن منهج العلماء عدم طرح هذه العلوم بحضرةِ العوام من الناس.

ب- يقوم الرازي بتقسيم كتابه هذا إلى أركان- الأول في المقدمات وهي ثلاثة (العلوم الأولية- أحكام النظر- في الدليل وأقسامه)، والركن الثاني في تقسيم المعلومات إلى ثلاث مسائل (الموجود- المعدوم- لا واسطة بين الموجود والمعدوم). والركن الثالث في الالهيات وفيه أربعة أقسام (الذات- الصفات- الأفعال- الأسماء) والركن الرابع في السمعيات وفيه أربعة أقسام (النبوات- المعاد- الأسماء والأحكام- الإمامة) ويتضح هنا أن التقسيم اشتمل على مقدمات ومسائل وأقسام[٢]، وهذا الاختلاف واضح عن خطة وتقسيم علماء الكلام المتقدمين، إذ كانت تشمل الإلهيات النبوات والسمعيات. في الأصل عند المتقدمين منهم خاصة.

ج- يعد الدكتور إبراهيم مدكور (أن كتاب المحصل نقلة نوعية في تطور المذهب الأشعري حيث استند فيه سنة تبويب المشاكل الكلامية وتقسيمها سار عليه من جاء بعده وبخاصة الايجي في المواقف وهو في الجملة ممتاز في التقسيم والتبويب)[٣]، فالرازي هو نقطة التقاء المتقدمين من الاشاعرة بالمتأخرين منهم وبداية اعتماد العقل أكثر من النقل في البراهين العقائدية.

---

(١) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، للإمام فخر الدين الرازي، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ص١٥.

(٢) ينظر: المحصل للرازي الركن الأول من ص١٦ والركن الثاني من ص٥٢، الركن الثاني الآليات من ص١٤٧؛ والرابع السمعيات من ص٢٠٧.

(٣) في الفلسفة الإسلامية، منهج وتطبيق، د. إبراهيم مدكور، دار المعارف بمصر، مكتبة الدراسات الفلسفية، ج٢، ص٥٣- ٥٤.

د- إذا عرض الرازي لمسألة فلسفية استعرض وجهات النظر المختلفة، وذلك في تصنيف جامع مع ربط محكم لكل ما يتصل بالموضوع من موضوعات أخرى، وهذا أسلوب مميز للرازي يمكن ملاحظته حتى في تفسيره المعروف إذ يتوسع في شرح المسائل من الوجوه كافة.

هـ- وقد يجره الموضوع الكلامي أو الفلسفي في المحصل إلى أبحاث لغوية أو تفسيرية في عرضه من دون أن يفلت من زمام لكن يحتاج إلى سعة اطلاع من القارئ ليتمكن من فهمهِ واستيعاب تفريعاتهِ وتدقيقاتهِ وتقسيماته هذه، ثم يحدد الرازي بعد ذلك أي بعد استعراض وجهات النظر الأخرى إلى أن يحدد ما يعتقده حق ويدافع عن رأيه مع وفاء للمذهب الاشعري(١).

و- سنأخذ مثالاً على فلسفة الرازي في المحصل ولجوئه إلى الطريقة العقلية بشكل كبير جداً طغى عليهما اسلوبه كمتكلم أشعري ففي تقسيم الموجودات على رأي المتكلمين في الصحيفة ثلاث وثمانون من المحصل يقول الرازي: الموجود إما أن يكون قديماً أو حديثاً أما القديم فهو لا أول لوجوده وهو الله سبحانه وتعالى والمحدث ما لوجوده أول وهو ما عداه.

١- قالت الفلاسفة: (مفهوم قولنا كان الله في الأزل موجوداً إما أن يكون عدمياً أو وجودياً والأول باطل والا لكان قولنا موجوداً في الأزل ثبوتياً فيكون المعدوم موصوفاً بالوصف الوجودي، وهو محال فثبت أن ذلك المفهوم وجودي، وهو إما أن يكون عين الله تعالى أو غيره والأول محال، لأن كونه في الأزل غير حاصل الآن وإلا لكان الآن هو الأزل، وكل ما وجد الآن وجد في الأزل هذا خلف، لكن ذاته حاصلة الآن، فكونه في الأزل أمر زائد عن ذاته، وذلك الأمر كان موجوداً في الازل وقد كان في الازل مع الله تعالى غيره، ذلك الغير هو الذي يلحقه معنى كان ويكون لذاته وذلك هو الزمان والزمان موجود في الأزل. قال المتكلمون: معنى كون الله تعالى قديماً أنا لو قدرنا أزمنة لا أول لها لكان الله تعالى موجوداً معها بأسرها، ومما يقرر ذلك أنا لو اعتبرنا الزمان في ماهية الحدوث والقدم لكن ذلك الزمان إما أن يكون قديماً أو حادثاً، فإن كان قديماً، مع أنه ليس له زمان آخر، فقد صار القدم معقولاً من غير اعتبار الزمان، وإذا عقل

(١) في الفلسفة الإسلامية، منهج وتطبيق، د. إبراهيم مدكور ، ج٢، ص٥٤؛ وينظر: مناهج التصنيف في الفلسفة الإسلامية، عصام الدين الزفتاوي، ص٤٥٨.

ذلك في موضع فليعقل ذلك في كل موضع، وإن كان حادثاً لم يعتبر في حدوثهِ زمان آخر لاستحالة أن يكون للزمان زمان آخر، وإذا عقل الحدوث في نفس الزمان من غير اعتبار زمان فليعقل مثله في سائر المواضع)[١]، نرى التعقيدات الفلسفية في اعتبار الزمن وفروضه واضحة هنا عند الإمام الرازي.

٢- أما تقسيم الأجسام عند الامام الرازي في المحصل فهو (الجسم إما أن يكون بسيطاً وهو الذي يشابه كل واحد من أجزائه كلهِ في تمام الماهية وإما مركباً وهو الذي لا يكون كذلك أما البسيط فإما فلكي وإما عنصري)[٢].

ونلاحظ من هذين النصين الصيغة العقلية والفلسفية واضحة أشد الوضوح وهذا لا يلاحظ في المحصل فقط وإنما في المطالب العالية والمباحث المشرقية كأشد ما يكون ولكن لكل ذلك ما يبرره عند العلماء والباحثين ونلجأ لأهم من درس فلسفة الإمام الرازي وهو الدكتور محمد الزركان للاستنارة باستنتاجاته بشأن الإمام الرازي ومنهجه في كتبه واقترابه من الفلسفة ثم دور هذا الاقتراب الشديد في الدفاع عن العقيدة الإسلامية. إذ يرى ان الامام الرازي (بدأ متكلماً ثم تفلسف ثم توقف ثم عاد إلى علم الكلام مع رواسب فلسفية أو مزج بين علم الكلام والفلسفة ثم نزع في اخريات أيامه إلى الإعراض عن الفلسفة وعلم الكلام جميعاً والاتجاه إلى التمسك بطريقة القرآن)[٣]. ويشير الباحث أن كتاب المباحث المشرقية كان من كتب المرحلة الفلسفية كذلك الملخص في الحكمة والمنطق وشرح الإشارات والتنبيهات وشرح عيون الحكمة، أما الكتب الكلامية فهي الإشارة، والأربعين ،ونهاية العقول والمعالم في أصول الدين، هذه الكتب لا تخلو من أقوال الفلاسفة بنسب متفاوتة وكتب مشتركة بين علم الكلام والفلسفة ومنها المحصل الذي بين أيدينا والمطالب العالية أو كتب تبحث في العقيدة في خلال آيات القرآن العظيم ومنها التفسير الكبير وأسرار التنزيل، وأسرار القرآن، وأقسام اللذات[٤].

---

(١) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للإمام الرازي، ص٨٢- ٨٣.
(٢) المصدر نفسه، ص١٤٠.
(٣) الرازي وآراؤه الكلامية، د. محمد الزركان، ص٦١٨.
(٤) المصدر نفسه، ص٦١٩، ٦٢٠، ٦٢٥.

ثانيا- المباحث المشرقية [١]: وهو الكتاب الثاني الذي اخترته لمعرفة منهج الرازي وموقفه من النقل و العقل:

أ- ويعد هذا الكتاب من أهم كتبه لكنه كتاب فلسفي بحت نجد الصعوبة في طياته الاولى والقريبة من المنهج الفلسفي العقلي أكثر منه مما في كتبه الأخرى ومما يذكر أنه من مؤلفاته الأولى حسبما يشير إلى ذلك الباحث الدكتور محمد الزركان وساعد ذلك الباحث على تتبع منهج الرازي وتطوره الفكري كما أشار إليه الاستاذ عصام الدين الزفتاوي بقوله: (يرى الباحثون أن كتاب المباحث المشرقية قدم مشروعاً كلامياً بخلاصة ما يحتاجه علم الكلام من وسائل وقضايا وموضوعات فلسفية متناولاً لها تناولاً فلسفياً محضاً، فكان عينه على كل ما يخدم علم الكلام وهو يلخص ويختصر ويحصل ما عند الفلاسفة من أمور عامة لا مباحث جزئية ستساعده في مشروعهِ الكلامي)[٢].

ب- ونجده يعتذر عن ذكر الكلام في النبات والحيوان، لأنه من الصناعات الجزئية التي لن يتناولها لأنها ليست مقصودة، لكنه في الحقيقة يتعرض لها في معرض توضيحاته وتقسيماته[٣]، والبابان الاولان من المباحث المشرقية مخصصان في الأمور العامة وأحكام الجواهر والإعراض قصد بها بيان المقدمات التي ستتركب منها براهين الإلهيات إذ إنَّ بحث الإلهيات واثباتها والدفاع عنها هو المقصود الأول لعلماء الكلام.

ج- إنّ كل ذلك قام به الإمام الرازي من أجل غاية قصوى هي استخدام هذه الأدوات الفلسفية لخدمة العقيدة بالبراهين العقلية، وقد أثرت فيما بعد بمن جاء بعده بكل تأكيد. متبنياً موقفاً كلامياً أشعرياً واضحاً. لكننا ونحن ننتقل بين صفحات الكتاب لا

---

(١) والمشرقية بضم الميم من الفلسفة الإشراقية أم بفتحها من المشرق المقابل للمغرب، يعني من الفلسفة المقابلة للفلسفة الغربية، يغلب الاستاذ عصام الدين الزفتاوي ان تكون بفتح أي انها الفلسفة الشرقية المقابلة للفلسفة الغربية من خلال دراسته للكتاب ليس فيه اثر للتصوف ولا للإشراق بل ولا لعلم الكلام الا اشارات يسيرة ينظر: مناهج التصنيف في الفلسفة الاسلامية عصام الدين الزفتاوي، ص٤٥٤.

(٢) ينظر: الرازي وآراؤه الكلامية للزركان، ص ٦٢٠، مناهج التصنيف في الفلسفة الاسلامية، عصام الدين الزفتاوي، ص٤٥٥.

(٣) ينظر: المباحث المشرقية للإمام الرازي، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف، الركن حيدر أباد الهند، ١٣٤٣هـ، ج٢، ص٢٣٣، ٢٣٦.

نجد النصوص القرآنية ولا الأحاديث النبوية، وهي من براهين علماء الكلام المتقدمين المعتمدة، ومرد ذلك هو ان جملة تلك الكتب الفت لتقرير العقيدة دون ذكر الادلة وسميت مختصرات وسادت هذه الطريقة فيما بعد الا ان الاصل كان عقيدة الاشاعرة المستمدة في اصولها من النقل، وبرهنتها بالعقل كوسيلة لا كمصدر للعقيدة نفسها.

د- قسم الكتاب إلى أقسام هي: ١- في الأمور العامة كالوجود والوجوب والإمكان والوحدة والكثرة، ٢- في الطبيعيات (الجواهر والإعراض)، ٣- في الإلهيات المحضة. قصد به الرازي جمع آراء الفلاسفة المتقدمين لا سيما ابن سينا والفارابي وابن حزم والنظام والغزالي، ولخصها وهذبها وعرضها بأسلوب مع بعض الاعتراضات[١]، ويعد الرازي أول من أدخل المباحث الفلسفية في التبويب والعرض ككيفية تكون الصواعق والبرق والبحار والأنهار والجبال والحرارة والرطوبة والألوان وتولد المعادن وقوس قزح وكلف الشمس فما دخلت هذه المباحث إلا على يد الرازي وظنه الناس كتاب علم الكلام مع أنه كان كتاباً في الفلسفة واحتوى مباحث فلسفية أكثر بكثير من المباحث الإلهية على حد تعبير العلماء لا سيما الفلسفة الطبيعية[٢]، وان كان الهدف من هذه المباحث الطبيعية دينياً هو إثبات وجود الله وقدرته وارادته وما إلى ذلك.

هـ- يلجأ الإمام الرازي للفرضيات والأمثلة لتقريب الفكرة ويستخدم المخططات والرسوم التوضيحية كما في الصحائف وثلاثمائة واثنتي عشرة وثلاثمائة وثلاثة عشرة ثلاثمائة وستة عشرة ويذكر الفلاسفة مثلا مالينوس ج٢، والصحيفة ثلاثمئة وسبع، محمد بن زكريا ج٢، والصحيفة مائتان وسبعة وتسعون ويقول زعم الشيخ ويقصد به ابن سينا وليس الأشعري كما في عادة علماء الكلام بل إنه قلما يذكر علماء الكلام ويستطيل في ذكر الفلاسفة أمثال ديمقراطس واشميدس ويندر أن يذكر النظّام والشهرستاني[٣]، دل على بدايته الفلسفية وندرة ذكره لعلماء الكلام.

و- نلاحظ أن منهجه قام في المباحث المشرقية على الاختيار وعدم التطويل والاطناب وعدم استخدام الالغاز، وفصل المطالب عن بعضها ويفصل في الاعتراضات

(١) الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية، د. محمد الزركان، ص٨٨.
(٢) الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية، د. محمد الزركان، ص٨٨-٨٩.
(٣) ينظر: مناهج التصنيف في الفلسفة الإسلامية، عصام الدين الزفتاوي، ص٤٥٦.

المعضلة ثم يتتبعها بالحل الشافي لها والملاحظة الأهم في منهجه أنه كان يبدأ بأعم الأمور نازلاً منها إلى أخصها، وقد اتخذه منهجاً من جاء بعده من العلماء وساروا على هذه الطريقة كالإمام البيضاوي والايجي والتفتازاني[١].

ز- قوة الاتجاه النقدي لدى الرازي واضحة في معارضته للفلاسفة ولم يقف عند تقليد المتكلمين بل إنه في المرحلتين الكلاميتين اللتان اجتازهما لم يتقيد بالمذهب الأشعري فضلاً عن غيره من مذاهب المتكلمين بل عارض المذهب في نقاط ليست بالقليلة ونقد كثيراً في استدلالاتهم فضلاً عن نقده لمذاهب المتكلمين الأخرى مما أكد اتجاهه النقدي[٢]،بل نجده ينفي في المباحث المشرقية نظرية الجوهر الفرد[٣]، التي اعتمدها كثير من المتكلمين في استنتاجاتهم، وان عاد في اواخر كتبه للقول بها [٤].

ح- يتحدث الرازي في بعض كتبه عن (الظواهر المشعرة بالجسمية والجهة للذات الالهية فالجواب الكلي عنها أن القواطع العقلية دلت على امتناع الجسمية والجهة والظواهر النقلية مشعرة بحصول هذا المعنى والجمع بين تصديقهما محال وإلا لزم اجتماع النقيضين، والجمع بينهما وتكذيبهما محال وإلا لزم الخلو عن النقيضين والقول بترجيح الظواهر النقلية على القواطع العقلية محال لان النقل فرع على العقل، فالقدح في الأصل لتصحيح الفرع يوجب القدح في الأصل والفرع معاً، وهو باطل فلم يبق إلا الاقرار بمقتضى الدلائل العقلية القطعية وحمل الظواهر النقلية إما على التأويل وإما على تفويض علمها إلى الله سبحانه وتعالى وهو الحق)[٥]، فلاحظ مدى سعة فكر الإمام الرازي في هذه المسألة وبعد نظرهِ في التفاعل مع النصوص والنقل والجمع بين العقل والنقل.

ط- وأُودُ في نهاية اطلاعي على كتاب المحصل والمباحث المشرقية القول بأن وضوح ما قاله الإمام الرازي عن كونه باحثاً عن الحق حداهُ حبه للبحث إلى اعتناق الفلسفة ودراستها ثم عودته لعلم الكلام مع رواسب فلسفية ثم عودته إلى طريقة القرآن الكريم

---

(١) المصدر نفسه، ص٤٥٧- ٤٥٨.
(٢) الرازي وآراؤه، محمد الزركان، ص٦٢٨.
(٣) ينظر: المباحث المشرقية للرازي،ج٢،ص٢٣- ٣٢
(٤) الرازي وآراؤه، محمد الزركان، ص٦٢٥،ص٦٢٦
(٥) معالم أصول الدين الفخر الرازي، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الكتاب العربي، لبنان، ج١، ص٤٨.

ادعى إلى انصاف الرجل والاعتراف بفضله في تطور المذهب الأشعري فمع المعية الرجل وفكره الحر الذي نقد وخالف الأشاعرة بل ودرس الفلسفة كعلم عالمي منتشر في ذلك الحين له دور في الحياة العلمية فإنه كان صاحب رؤية مبدعة حرة تجول مع فكره الوقاد ويشرح لنا ذلك يقول (وكنا نحن في ابتداء اشتغالنا بتحصيل علم الكلام تشوقنا إلى معرفة كتبهم نرد عليهم فصرفنا شطراً صالحاً من العمر في ذلك، حتى وفقنا الله تعالى في تصنيف كتب تتضمن الرد عليهم ككتاب نهاية العقول وكتاب المباحث المشرقية وغيرهما. وهذه الكتب بأسرها تتضمن شرح أصول الدين وأبطال شبهات الفلاسفة وسائر المخالفين وقد اعترف الموافقون والمخالفون أنه لم يصنف أحد من المتقدمين والمتأخرين مثل هذه المصنفات. ومع هذا فإن الأعداء والحساد لا يزالون يطعنون فينا وفي ديننا مع ما بذلنا من الجد والاجتهاد في نصرة اعتقاد أهل السنة والجماعة، ويعتقدون أني لست على مذهب أهل السنة والجماعة، وقد علم العالمون أنه ليس مذهبي ولا مذهب أسلافي إلا مذهب أهل السنة والجماعة)[١].

ثالثا- اما التفسير الكبير

أ- انتهى منهج الرازي الكلامي في المرحلة النهائية أي بعد الكلام، ثم الفلسفة ثم الكلام الذي لا يخلوا عن رواسب الفلسفة إلى طريقة القرآن الكريم فما هي هذه الطريقة؟، تتضمن طريقة القرآن الكريم بحسب ما يرى الرازي رحمه الله منهجين:

الاول- الابتداء من الأعرف فالأعرف، نازلاً إلى الأخفى فالأخفى وذلك كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[٢]، فقد استدل بالنفس ثم بالآباء ثم بالسماء ثم بما هو مشترك بين الأرض والسماء.

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازي تحقيق علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ج١، ص٩٢.
(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢١-٢٢.

الثاني- الابتداء بالأشرف فالأشرف نازلاً إلى الأدنى فالأدنى كما في سورة النحل قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۞ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۞ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[1]، فأستدل أولاً بالسموات ثم خلق الانسان ثم أحوال الحيوان ثم أحوال النبات ثم أحوال العناصر الأخرى ثم ذكر الأرض وانتهى بقوله تعالى ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[2]، مبيناً فيها تعدد النعم[3].

ب- وليس أدل على هذا المذهب إن أردنا الانصاف من تفسيره المعروف بمفاتيح الغيب أو التفسير الكبير فهو رغم تفريعاته ومسائله المتعددة وتطويلاته إلا أنه اعتمد أدلة القرآن الكريم داعماً لها بكل ما أوتي من بلاغة وبراعة في اللغة والتفسير والحقائق المنطقية والبراهين العلمية وإن من الإنصاف بمكان أن لا نعد الإمام الرازي من صنف علماء الكلام الذين انتهجوا منهجاً عقلياً بحتاً مهملين النص والنقل بل الانصاف يدعو إلى تأمل التفسير الكبير ومعرفة ما توصل إليه الإمام الرازي في أخر رحلته مع الفلسفة والفلاسفة وعلماء الكلام. نعم لقد توصل إلى طريقة القرآن الكريم.

ج- يقول الإمام الفخر الرازي في نهاية رحلته الشاقة هذه (لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي غليلاً ولا تروي عليلاً ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[4]، و ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[5]، واقرأ في النفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[6]، و ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[7]، ومن جرب مثل

(١) سورة النحل، الآيات: ٢-٥.
(٢) سورة ابراهيم، جزء من اية ٣٤.
(٣) ينظر: التفسير الكبير فخر الدين ابن خطيب الري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، (١٤٢٠هـ)، ج٢، ص٣١٩؛ وينظر: الملل والنحل للشهرستاني ج١٩ ص١٧٢؛ وينظر: الرازي وآراؤه الكلامية لمحمد الزركان، ص٢٠٠-٢٠١.
(٤) سورة فاطر، جزء من الآية: ١٠.
(٥) سورة طه، الآية: ٥.
(٦) سورة الشورى، جزء من الآية: ١١.
(٧) سورة طه، جزء من الآية: ١١٠.

تجربتي عرف مثل معرفتي. ثم يقول في وصيتهِ (لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن، لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال لله، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية فلهذا أقول: كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراءته عن الشركاء في القدم والأزلية والتدبير والفعالية فذلك هو الذي أقول به والقى الله به، وأما ما انتهى الأمر فيه إلى الدقة والغموض فكل ما ورد في القرآن والصحيح المتعين للمعنى الواحد فهو كما هو)[١]، وهكذا انتهت رحلة الرازي مع الفلسفة إلى العودة إلى النص والنقل واعتمادها كأساس في أخذ العقائد وتلقيها بل حتى برهنتها بالطريقة القرآنية.

د- ومما لاشك فيه أن المنهج العقلي تمثل أول ما تمثل في الإمام الرازي فنراه (قدم وجه نظر جديدة في علم الكلام تقترب من روح الفلسفة إلى درجة التوحد هذا التوحد يكمن في ثلاث أمور مترابطة:

أ- البحث عن الحق.

ب-التعليل والدليل.

ج-جعل المدارك في العقائد الإيمانية عقلية.

وهذه امور من شأن الفلسفةوقد ادخلها الإمام الرازي في صلب الكلام ونتج عن ذلك أنه ادخل في مباحثه الكلامية مسائل طبيعية وإلاهية توحد المطالب والمواضيع والمسائل في علمي الكلام والفلسفة، فقد تجاوز موضوع علم الكلام التقليدي وتعاطى مع الفكر الفلسفي بهدف التصحيح والإبطال، مما يجعلنا نتوقع تحولاً آخر في الموقف النقدي الجدلي الكلامي إلى موقف نقدي فلسفي ومع بقاء الإمام الفخر الرازي على الحلول الاشعرية العقدية إلا أنه عدل عن تأييد هذه الحلول بصيغ المذهب الذري مما دفعه إلى وضع مفاهيم جديدة في مسائل النظر والعلم وقيمة الدلائل النقلية ونقدها العقلي لكنه في النهاية لم يخرج على أصل واحد من الأصول التي أجمع عليها أهل السنة والجماعة ولم يخرجهِ ادخال هذه الأمور التي تختص بالفلسفة في مباحثه الكلامية عن كونهِ متكلماً يدافع عن الشريعة)[٢].

هـ- ويرى التفتازاني أن الخلط بين كتب علم الكلام مع الفلسفة له ما يبرره، إذ أن هذه الطريقة مفيدة في تقوية دعائم العقيدة ولتوسيع الفكر وبذلك يقول: (ولما كان على المباحث الحكمية مما لا يقدح في العقائد الدينية ولم يناسب غير الكلام من العلوم الإسلامية خلطها المتأخرون بمسائل الكلام افاضة للحقائق وإفادة لما عسى أن يستفاد به في التقصي عن المضايق)[٣]، ويرى أيضاً أيضاً لما نقلت الفلسفة إلى العربية وخاض فيها الاسلاميون وحاولوا الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة فخلطوا بعلم الكلام كثيراً من الفلسفة ليحققوا مقاصدها فيتمكنوا من إبطالها فهلم جرى، إلا أنهم أدرجوا فيه معظم الطبيعيات والإلهيات وخاضوا في الرياضيات حتى كاد

---

(١) الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية، محمد الزركان، ص٦٢٦.
(٢) مناهج التصنيف في الفلسفة الإسلامية، عصام الدين الزفتاوي، ص٤٥٤.
(٣) المقاصد للتفتازاني، ج١، ص١١.

علم الكلام لا يتميز عن الفلسفة لولا اشتماله على السمعيات وهذا هو كلام المتأخرين[١]. ولكن هذه النزعة العقلية الفلسفية اختفت فيما بعد لأن تطور العلوم وتبلور مفهوم العقائد تبلور واصبح واضحاً وفصلت العلوم الفلسفية عن الإلهيات في القرون المتأخرة لكن أثار الخلط الذي حدث في المباحث المشرقية وظنهُ الناس اندماجاً بين علم الكلام والفلسفة كان له أثار في جعل علوم العقيدة الإسلامية مستعصية على كثير من الدارسين فضلاً عن المبتدئين لذلك كان لابد من عودة إلى المنبع الصافي في التلقي والعودة إلى القرآن الكريم وكتب المتقدمين التي اعتمدت النقل بالدرجة الأولى إلا أن أثار المنهج العقلي استمرت عند البيضاوي وخفت وطئته عند الايجي والتفتازاني لكنها بقيت موجودة في المدرسة الكلامية الاشعرية[٢].

و- ويعلل الامام الذهبي كثرة احتجاج المتأخرين الاشاعرة بالعقل بعد أن كان المتقدمون منهم يعتمدون النقل فقط وذلك لانه (كانت الاهواء والبدع خاملة في زمن الليث[٣] ومالك [٤]والأوزاعي[٥]، والسنن ظاهرة عزيزة، فأما في زمن أحمد[٦] وإسحاق [٧]وأبي عبيدة [٨] فظهرت فظهرت البدعة بدخول الدولة وتأييدها للمعتزلة ثم كثر ذلك، واحتج عليهم العلماء بالمعقول فطال الجدال واشتد النزاع) [٩].

---

(١) ينظر: شرح العقائد النسفية لسعد الدين التفتازاني، القاهرة، مطبعة كردستان العلمية، ١٣٢٩ه، ج١، ص١٤.

(٢) ينظر: الرازي، وآراؤه الكلامية، محمد الزركان، ص٦١٥.

(٣)بو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن إمام أهل مصر في الفقه والحديث، كان مولى قيس بن رفاعة، وهو مولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي وأصله من أصبهان، وكان ثقة سريا سخيا، قال : كتبت من علم محمد ابن شهاب الزهري علما كثيرا ينظر وفيات الاعلام لابن خلكان ،ج٤،ص١٢٧

(٤)الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس [بن مالك] بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غميان إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام. أخذ القراءة عرضا عن نافع بن أبي نعيم، وسمع الزهري ونافعا مولى ابن عمر، رضي الله عنهما، وروى عنه الأوزاعي ويحيى بن سعيد، وأخذ العلم عن ربيعة الرأي ينظر: وفيات الاعلام لابن خلكانج٤،ص١٣٥

(٥)بو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي إمام أهل الشام؛ لم يكن بالشام أعلم منه، قيل إنه أجاب في سبعين ألف مسألة، وكان يسكن بيروت ١٥٧هجرية ينظروفيات الاعيان لابن خلكان ،ج٣، ص١٧٣

(٦)إمام المحدثين في عصره السيد الكبير فريد دهره، ذو العلم والعمل والحق والتحقيق والزهد الصادق والورع الدقيق كان يحفظ ألف ألف حديث، وكان من أصحاب الإمام الشافعي وخواصه والمحبين له توفي ٢٤١ه ينظر مرآة الجنان لليافعي ج٢،ص٩٩

(٧)بن راهويه الحنظلي المروزي النيسابوري الحافظ. روي أنه كان يحفظ سبعين ألف حديث، ويذاكر بمائة ألف ألف حديث، وقال: ما سمعت شيئاً قط إلا حفظته، ولا حفظت شيئاً فنسيته، وجمع بين الحديث والفقه والورع .توفي ٢٣٨ه ينظر مرآة الجنان لليافعي ج٣، ص ٩١

(٨)القاسم بن سلام " بتشديد اللام " البغدادي صاحب التصانيف، سمع شريكاً وابن المبارك وطبقتهما، وقال إسحاق بن راهويه الحق يحدث الله: أبو عبيد أفقه مني وأعلم. وقال أحمد: أبو عبيد أستاذ، ووصفه غيره بالدين والسيرة الجميلة وحسن المذهب والفضل البارع توفي ٢٢٤ه،ه ينظر مرآة الجنان لليافعي ج٢، ص ٦٣

(٩) سير اعلام النبلاء للذهبي، ج٨، ص١٤٤.

الخاتمة

١- كان لمنطق ارسطو والفلسفة ومباحث النظر والجدل ومدارك العقول دورٌ كبير في مناقشات الرازي ولغته ومصطلحاته في كتبه بل انها اصبحت جزءً اساسياً من اسلوبه العقلي في هذه المؤلفات.

٢- غلّبَ الرازي النزعة العقلية في كتبه خاصة أول مؤلفاته، ثم عاد إلى التوازن بين ادلة النقل والعقل وهذا الاعتدال واضح في تفسيره الكبير، والفرق بينه وبين المحصل والمباحث المشرقية واضح جداً في المنهج.

٣- النزعة النقدية عند الرازي واضحة كذلك حتى لموافقيه من الاشاعرة دل ذلك على سعة الافق وعدم التعصب وحرية الفكر الذي تميز به.

٤- قال الرازي بظنية الدليل السمعي وبيقينية الدليل العقلي في احتمالاته المشهورة التي رأى أن وجودها يمنع الدليل النقلي من اليقين وهي (نقل الثقات ، النحو، التصريف، عدم الاشتراك، عدم المجاز، عدم الاضمار، عدم النقل، عدم التقديم والتأخير، عدم التخصيص، عدم النسخ، عدم المعارض العقلي) ونفي هذه الاحتمالات مظنون لا معلوم والموقوف على المظنون مظنون وإذا ثبت هذا ظهر أن الدلائل النقلية ظنية والعقلية قطعية والظن لا يعارض القطع، وهكذا انتهى الرازي إلى أن العقل اصل والشرع فرع لأن صحة السمع متوقفة على العقل فلا يجوز الاستدلال على الاصل بالفرع لأنه دور باطل.

٥- اصبحت العقائد يحوطها الغموض بسبب المصطلحات الفلسفية والمنطقية ولكن الامام الرازي في اخر رحلته الكلامية يعود إلى اهمية النقل ومركزيته ويقدمه في التفسير الكبير مبرهناً بالعقل والمنطق صحة النقل وداعماً له بكل ما اوتي من فكر خصب وحجة دامغة واسلوب رفيع فجزاه الله تعالى خير الجزاء.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. اساس التقديس، لفخر الدين الرازي تحقيق: احمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، لسنة (١٩٨٦م).
٢. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ه) تحقيق على سامي النشار دار الكتب العلمية بيروت د.ت.
٣. الاعلام للزركلي خير الدين الدمشقي، دار العلم للملايين، ط٥، لسنة ٢٠٠٢.
٤. البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤ه) دار احياء التراث العربي المحقق علي شيري الطبعة الاولى ١٤٠٨-١٩٨٨.
٥. تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الإعلام لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ه) تحقيق: عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، وكذلك طبعة المكتبة التوفيقية.
٦. تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، د. محمد علي ابو ريان، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط سنة (٢٠٠٠م).
٧. تاريخ مختصر الدول ابو الفرج لابن العبري (ت ٦٨٥ه) دار الشروق بيروت، ط٣، (١٩٩٢).
٨. التفسير الكبير فخر الدين ابن خطيب الري (ت ٦٠٦ه) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، (١٤٢٠هـ)،
٩. التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي الناشر مكتب وهبة، القاهرة، ط٧، لسنة (٢٠٠٠م).
١٠. الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية لمحمد صالح الزركان دار الفكر، القاهرة، (١٩٦٣). وهي في الأصل رسالة دكتوراه بإشراف: د. محمود قاسم.
١١. سير اعلام النبلاء شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد عثمان بن قايمتز الذهبي نفسه للذهبي: تحقيق: شعيب ارنؤوط، مؤسسة الرسالة، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
١٢. شذرات الذهب في اخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (١٠٨٩ه) دار ابن كثير، بيروت، دمشق، ط١، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).
١٣. شرح المقاصد في علم الكلام لسعد الدين بن مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٣ه) دار المعارف النعمانية-باكستان، جـ١، (١٤٠١هـ-١٩٨١م).
١٤. شرح العقائد النسفية لسعد الدين التفتازاني، القاهرة، مطبعة كردستان العلمي، ١٣٢٩ه.
١٥. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، دار هجر للطباعة والنشر، ط٢، لسنة (١٤١٣ه)، تحقيق د. محمود الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو.
١٦. العبر في خبر من غبر، لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٧ه) دار الكتب العلمية- بيروت.

١٧. في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر، د. عبدالحميد مدكور، دار الهاني للطباعة والنشر (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، مصر.
١٨. في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، لابراهيم مدكور، دار المعارف بمصر، مكتبة الدراسات الفلسفية.
١٩. الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي، د. محمد جلال شرف، دار النهضة العربية، بيروت.
٢٠. المباحث المشرقية للإمام الرازي (ت ٦٠٦ه) ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف، الركن حيدر أباد الهند، ١٣٤٣هـ.
٢١. محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، للإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ه) مكتبة الكليات الأزهرية، مصر.
٢٢. المختصر في اخبار البشر، لابو الفداء عماد الدين بن اسماعيل ابن شاهنشاه في ايوب (ت ٧٣٢ه) الناشر المطبعة الحسينية المصرية، ط١.
٢٣. مرآة الجنات وعبرة اليقظان ابو محمد الدين عبدالله بن اسعد بن علي لليافعي (ت ٧٦٨ه) دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٧-١٩٩٧).
٢٤. معالم اصول الدين، للامام الرازي (ت ٦٠٦ه) تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي-لبنان.
٢٥. مقدمة ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد بن محمد (ت ٨٠٨ه) دار الفكر، بيروت، (١٩٨٨)، ط٢.
٢٦. الملل والنحل لابو الفتح محمد عبدالكريم بن احمد الشهرستاني (ت ٥٤٨ه) مؤسسة الحلبي.
٢٧. من حديث خيثمة بن سليمان القريشي (ت: ٣٤٣ه)، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري دار الكتاب العربي- لبنان، سنة (١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م).
٢٨. مناهج التصنيف في الفلسفة الاسلامية، عصام الدين الزفتاوي، رسالة ماجستير باشراف د. عبد الحميد عبد المنعم مدكور، سنة (١٤٠٣هـ-٢٠٠٩م)، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم الفلسفة الاسلامية.
٢٩. النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤ه) الناشر وزارة الثقافة والارشاد القومي، دار الكتب، مصر.
٣٠. الوافي بالوفيات، صلاح ايبك الصفدي (ت٧٦٤ه)، دار احياء التراث العربي، بيروت، (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).
٣١. وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان محمد بن ابراهيم لابن خلكان (ت ٦٨١ه) دار صادر، بيروت ط، (١٩٠٠).